

الديانة الفينيقية(*)
وعناصر الميثولوجية في حضارة سورية القديمة
مراجعة لمصادر دراستها وأهم ملامحها

د. محمد حرب فرزات
جامعة دمشق

مقدمة :

إن المصادر الأولية المتوفرة حتى الآن عن الديانة الفينيقية لا تسمح لنا بعد بتكوين صورة مرضية عنها . وإن ما يزيد على ستة آلاف نقش معروف حتى الآن مما بقي من التراث الفينيقي القديم لا يقدم للباحثين أكثر من اشارات الى الآلهة والى أسماء أعلام من الناس كانوا يؤمنون بتلك العقائد ، ومن ذكر لبعض الطقوس المرمية في العبادات ، وهذا مما يعيق تفسير نتائج التنقيبات الاثرية . وأمام هذا الواقع كان لابد للباحثين من ان يرجعوا الى مصادر غير فينيقية ، في كتابات اجاريت المكتوبة بالاجاريتية ، وأسفار العهد القديم والتراث الهلنستي وفي ما تبقى من أعمال فيلون الجبيلي^(١) ، للتعويض عما فقد من نصوص الادعية والتراتيل وقوائم الارباب وجداول انسابها والاعمال الميثولوجية التي يفترض أنها كتبت يوما ما بالفينيقية .

إن لكل مدينة فينيقية كبيرة مكانها الخاص ضمن الديانة الفينيقية المشتركة، التي نجد أهم عناصرها في مجمع أرباب المدينة وفي ارتباط هؤلاء الأرباب بالمظاهر الطبيعية الرائعة وفي أساطير موتها وبعثها ، وفي الوضائف أي طعام المآتم التي يرد ذكرها في أسفار التوراة ، وفي عادة تضحية الاطفال .

وقد سلط الضوء في هذه الدراسة على بعض المميزات البارزة للديانة في المدن الفينيقية : صور وصيدا وجبيل وقرطاجنة ، وان إعادة النظر في كل من صور وقرطاجنة ، وفي ما يمكن استخلاصه من دلالات في نصوص المعاهدات ، كالمعاهدة بين بعل صور مع أشور (القرن السابع ق.م) ومعاهدة هملقار مع مقدونية (القرن الثاني ق.م) قد تمكنا من التزود بمعلومات جديدة عن مجمع الارباب المحلي في كل منهما ، مما قد يساعد على تطوير البحث في الموضوع وتعميق النظر فيه .

(*) نقل هذا البحث الهام عن الانكليزية مع شروح وتعليقات من العرب .

Richard J. Clifford, Phoenician Religion,
BASOR = Bulletin of the American Schools of Oriental Research, 279,
(1990) .

دراسات تاريخية ، العددان ٤١ و ٤٢ ، آذار - حزيران ١٩٩٢

مصادر دراسة الديانة الفينيقية :

يواجه الباحث في الديانة الفينيقية عقبة كبيرة ، فالمصدر الاولي لفتح مغاليق المجتمع الفينيقي وللتعرف على التراث الميثولوجي الفينيقي يبدو حتى الان قاصرا بشكل واضح . وان ما يزيد على ستة آلاف نص فينيقي وبوني (فينيقي غربي) بقيت حتى الآن من التراث القديم لا تقدم للباحثين - كما كنا قد ذكرنا - أكثر من إشارات الى الالهة والعابدين والطقوس ، فلم يعد من وجود للانشاد ولا للصلوات ولقوائم الارباب ، وبقي المصدران الميثولوجيان اللذان يمكن الرجوع اليهما : النصوص الاجاريتية ، وكتاب « التاريخ الفينيقي » لمؤلفه فيلون الجبيلي ، وينقل هذان المصدران بعض التقاليد المبهجة للحضارة الفينيقية التي امتدت ما بين ١٢٠٠ - ٣٣٢ ق.م . أي حتى دخول الاسكندر المقدوني ، دون ان يكون بامكانهما الاجابة عن كثير من التساؤلات .

إن النصوص الدينية التي نشرت من مكاتب أجاريت التي اكتشفت في موقع (رأس الشمرة) ، كانت ألفت قبل ١٢٠٠ ق.م . ولقد أدى نشر هذه النصوص منذ عام ١٩٣٠ الى تزويد الباحثين بأكثر سجل للنصوص الدينية في حضارة سورية القديمة كتب وجمع قبل اسفار العهد القديم بعدة قرون ، وترك أثارا في الحياة الدينية في البلاد على مر العصور .

وفي هذه النصوص ستة ألواح كبيرة تروي قصة الحرب والحب عند بعل ، وهي بمعنى ما تحليل للنظام الطبيعي والسياسي ، وقصة الملكين (دانييل وكرت) وتعاملهم مع عالم الارباب ، وشذرات مختلفة عديدة من التراث الميثولوجي . وهذه النصوص الاجاريتية أغنى بكثير من الموارد الفينيقية المكتوبة وهي تغري الباحث المدقق بسد الثغرات الكثيرة في الموروث الفينيقي القليل بما يعثر عليه في الألواح الاجاريتية . ولكن هناك مع ذلك اختلافات أساسية بين السجلين مما يجعل من غير الممكن افتراض وجود اتصال مستمر بين ديانة أجاريت وبين ديانة المدن الفينيقية والبونية . ولكن خشية الميل بعيدا الى التشاؤم ، ينبغي ان يؤخذ عامل مهم في الاعتبار ، وهو أن النصوص الاجاريتية تسجل في المقام الاول ميثولوجيات متطورة ، بينما تسجل النقوش الفينيقية نصوصا طقسية كانت مرعية بين الطبقات الاجتماعية العليا ، ومنها العائلات المالكة والحاكمة وكبار الكهنة في المدن الفينيقية المختلفة . ويستطيع الباحث من معاناة طبيعة المصادر المتنوعة التي تشمل نصوصا ميثولوجية ، ونصوصا طقسية عملية تطبيقية أن يستنتج وجود فروق كبيرة بين مضمون كل من كتلي النصوص على الرغم من أنهما يمثلان أساسا الديانة نفسها .

ويرجع تأليف كتاب « التاريخ الفينيقي » لفيلون الجبيلي الى عصر تدهورت

فيه المدن الفينيقية في أواخر القرن الأول وبداية الثاني للميلاد. وقد احتفظ بجزء هام منه وعلى نحو دقيق كما يرى الباحثون الأكاديميون المحققون في الجزء الأول من كتاب (تحضير الانجيل Praeparatio Evangelica) وهو كتاب كبير في تاريخ الكنيسة لاوزيوس القيسري (٢٦٥ - ٣٤٠) (٣) .

يعلن فيلون أن مرجعه الاساس هو طاووطوس وهو اسم الاله المصري **تحتوت** ، وهو يحيل على سخونياتن Sakkunyaton وهو وجه غريب من وجوه الماضي البعيد بكونه هو الذي أعاد اكتشاف طاووطوس . وتضم مواد الكتاب علم هيئة الكون ، وهو بحث في أصل الكون وتكوينه وعناصره ونواميسه ، وقصة كرونوس ، وروايات عن الملوك المتأخرين وعن تضحية البشر والافاعي .

إلا أن الباحثين يخضعون هذا العمل لمقتضيات طرق مختلفة اختلافا جذريا . فقبل أن يبدأ التنقيب في موقع رأس الشمرة على الساحل السوري ، وقبل الكشف عن آثار مدينة أجاريت وعن النصوص التي عثر عليها في خرائب مكتباتها والتي أيدت أقدمية بعض مواد كتاب فيلون الجبيلي كان هناك اجماع في الاوساط العلمية على تدني الثقة بفيلون . ولكن الحال انقلب الان وبات هناك اجماع آخر على احترام فيلون مع أن أحدث ما نشر من شروح لعمله يقدمه على أنه عمل متهلئ ، متأثر بشكل واضح والى حد كبير بالثقافة الهلينية (٣) .

ومهما يكن فإن كتاب فيلون يتضمن معلومات أصيلة ولكن لا يمكن أن يستخدم كالدليل الموثوق للتعرف على الديانة الفينيقية .

إن الدليل على وجود العنصر الهلنستي ، وإن كان متأخرا ، في تكوين كتاب التاريخ الفينيقي يشتمل على العوامل المختلفة التالية : طبعة موارد الكتاب وليس فيها ما يشير الى رجوعها الى زمن أقدم . وما في العمل من أوهميرية مضللة . والأوهميرية نظرية تنسب الى أوهميروس (٣٠٠ ق.م) . وتنص على أن أرباب العصر الكلاسيكي ليسوا غير ملوك وأبطال رفعوا تخليدا لأعمالهم العظيمة الى مرتبة الربوبية . وقد حظيت هذه النظرية بتأييد واسع في العالم الهلنستي . ويشار دائما الى العنصر الهلنستي النموذجي في أصل ثقافة ذلك العصر والى تأثير الميثولوجية الاغريقية ، فليس هناك مقياس واحد لتأييد ما يذكر من تحفظ ولا سيما حول وقوع انقسام ثقافي هيليني - سامي مبكر ، ولكن هناك اتفاق عام على الإيحاء بالثقة في النظر الى فيلون بوصفه مرجعا معتمدا كمدخل الى معرفة الديانة الفينيقية المبكرة .

ومن مصادر الكتاب الموارد الأولية لأعمال مؤلفين من اليونان واللاتين . وتستقى

من أسفار التوراة معلومات متفرقة وفيها أحيانا آراء تدين بعض الطقوس الفينيقية وبخاصة ممارسة التضحية بالأطفال .

ومع أن هذه المعلومات ناقصة وأحيانا متحيزة فهي تؤمن أحيانا للباحث معلومات تاريخية لا يجدها في مصادر أخرى . فالكشوف التي أسفرت عنها أعمال التنقيبات الأثرية ، ومنها معابد وقبور ومسلات ، هي مخلفات تبقى صامته اذا لم ترافقها شواهد مكتوبة .

وعلاوة على ذلك ، فإن هذه الشواهد المكتوبة ، وبحكم حقيقة طبيعتها الخاصة سجلت على الأرجح شيئا عن ديانة الملوك والحكام والموسرين أكثر مما سجلت عن عقائد فقراء الناس الذين لم يخلقوا وراءهم آثارا قابلة للبقاء . ومن المحتمل أن ديانة الجماهير قد بادت إلى الأبد .

وهناك مثال آخر على الشواهد المضللة يأتي من مدة بقاء عمارة هذه المعالم المعمارية الجنزوية ومن منظرها العام ، فإن ما تتركه في المرء من تأثير ، وعددها الكبير يدلان على اهتمام الفينيقيين بالموت بدرجة أكبر مما تعكسه الديانة الفينيقية عن اهتمامهم بالحياة . وهكذا فإن طبيعة هذه المصادر يقتضي تناولها بتحفظ شديد . فإن غياب شاهد موثوق يركن إليه لإعادة تشكيل صورة عامة شاملة عن الديانة الفينيقية هو سبب من الأسباب التي تدفع الباحثين عادة إلى تضخيم الصورة المحلية على حساب الصورة العامة للديانة . أما السبب الآخر فهو في طبيعة البلاد نفسها ، فلم يكن لذلك أمام الدول الفينيقية مفر من التوسع باتجاه الغرب بعد أن وجدت نفسها محشورة في ساحل ضيق ، فتوجهت دول المدن التجارية للانتشار على سواحل حوض المتوسط ولتأسيس المحطات والمستوطنات والمستعمرات . وأهم هذه الدول - المدن من الشمال إلى الجنوب : أرواد ، صمور / سميرا ، طرابلس ، جبيل ، بيروت ، صيدا ، صور .

وقد بقيت سلسلة الدول السورية - الفلسطينية المميزة والمذكورة في القرن الرابع عشر ق.م . في رسائل العمارة متمتعة بانسجام ثقافي نام ومتزايد فيما بينها، على الرغم مما نجم عن الخضوع المشترك لتعديل قسري في التركيب السكاني في أواخر عصر البرونز وبواكير عصر الحديد . وإن الآثار العديدة للديانة الفينيقية ، مما تم اكتشافه على أيدي علماء الآثار خلال القرنين المنصرمين ، تعزز الرأي القائل بتنوع اقليمي في الديانة الفينيقية ، أي وجود آلهة مختلفة لكل مدينة . فهناك مثلا : ملقرت في صور وعشترت وإشمون في صيدا . وإن اختلاف تكوين مجمع الأرباب كان يفترض بالطبع وجود أنظمة مختلفة وطقوس مختلفة . وهكذا نجد في بعض أوساط الدارسين

المهتمين بالموضوع مقاومة لفرض صورة عامة للديانة الفينيقية تتكون من أنظمة مشتقة من المصادر الاجارية ودلالات النصوص التوراتية ومن كتاب التاريخ الفينيقي لفيلون .

ولكن التفرد المحلي في الديانة لا يجوز مع ذلك المبالغة فيه . فعلى الباحث ان يكون دائما مطلعا على طبيعة المصادر في الديانة المحلية . وان مجمع الأرباب في مدينة ما ، أو النظام الذي يربط فيما بينها لا تجوز إعادة تركيبه من دراسة أسماء الاعلام المتداولة . لأن هذه الاسماء حفظت كيفما اتفق لها ، وهي لذلك لا تقدم دليلا حاسما على موقع الأرباب في الديانة . فموقع الأرباب في مجمع الأرباب (البانتيون) يظهر جليا في نصوص المعاهدات وليس في بقايا الديانة الشعبية ، عندما لا يعود لهذه الأرباب ذكر في الديانة الشعبية . فعلى سبيل المثال ان المعاهدة بين صور وآشور ، وهي تعود الى القرن السابع ق.م . تذكر إل وقرينته ، وليس ملقرت رئيسا للأرباب في المدينة . ولكن كان ملقرت على الأرجح رب البيت المالك كما يوحي بذلك أحد النصوص أكثر مما يحتمل ان يكون رب المدينة . وكل هذه الامثلة تدفعنا الى التحفظ بأن الديانة الفينيقية يمكن ان تقدم عنها صورة أولية ، ولكنها في الوضع الراهن لا يمكن أن توصف وصفا كاملا ونهائيسا .

العناصر المشتركة في الديانة الفينيقية :

نناقش فيما يلي عدة عناصر مشتركة في الديانة ، أي المظاهر التي تبدو في عدد من الاماكن ، مع ملاحظة الوضع الديني الخاص بكل من الدول - المدن على حدة .

وان الادب الفينيقي ، كما هو الحال في أدب أجاريت ، وبلاد الرافدين والعهد القديم ، يتصور أن الأرباب تدير أمورها في مجمعها الإلهي كما يدير الناس أمورهم في جمعياتهم العامة . فهم يجتمعون دوريا للتداول ولبت القضايا المتعلقة بالانسان . ويظهر أن الاجتماعات الإلهية كانت متكررة . وتدعو الآلهة أحيانا أرباب مدينة معينة ، والجمعية العامة للمدينة ينبغي أن تدعى بكونها وحدة منفصلة عن رئيس الأرباب : (مفخرة إل جبل قدشم) = (جمعية أرباب جبل المقدسين) . ان المفردات الدالة على جمعية عامة ، أو مجلس عام ، لها عين المعنى الذي نجده في الاجارية وعين المضمون . ففي النقوش المذكورة أنفا يدعى الى عقد الجمعية بأسماء الأرباب بذواتهم ، ويفترض أن آخر من يذكر بينهم هو الذي يترأس الجمعية بنفسه ، أو أنه يكون على الأقل الأعلى مرتبة فيها . وكما هو الشأن في أماكن أخرى من الشرق الأدنى القديم ، تصور هذه الجمعيات كأنها خاضعة لآلهة بذواتهم ، ومع ذلك فان موافقة الجمعية العامة تبدو ضرورية لاتخاذ القرارات الهامة .

ان أسماء أرباب بعينهم يمكن أن تكون القبا كما هو الحال في أجاريت . ان (بعل) مثل (إل) يمكن أن يكونا كلاهما لقبين بمعنى (سيد) ، كما يمكن أن يكون إلهاً معيناً خُصص فيما بعد بالاضافة الى اسمه . مثلاً بعل صفون ، وهورب العاصفة الذي يقيم في جبل صفون جنوبي العاصي (الجبل الأقرع) ، وبعل ملقة وبعل لبنان وبعل أدّر (أي القوي ومنه اسم الشهر آذار - العرب) ، وهو معروف في القرن الخامس ق.م في جبيل ثم انتقلت عبادته الى افريقية (قرطاجة) ، والى المغرب ، وبعل مرقود (سيد الرقص ، ربما كان رباً شافياً) ، وبعل حمون ، سيد الأمانوس في شمال سورية ، واضحى فيما بعد معبوداً شعبياً في قرطاجة والمغرب ، وبعل صور وبعل صيدا وبعل المِجن (مِجْنيم ج . مجن) ويظن أنه رشف ، وهناك أيضاً بعل بقعة (بعل البقاع) .

وكما يتضح من المصادر كان الأرباب يميلون غالباً الى مكان يكون على الأرجح مؤشراً على ظاهرة طبيعية كأعالي الجبال أو نبع عظيم . وهكذا جاءت تسميات بعل بالاضافة الى الأمانوس وصفون ولبنان والكرمل . أما الآلهة الفلكية الممثلة للكواكب فقد ذكرت في مجامع الأرباب الفينيقية ولكنها لم تذكر بكثرة كما هو الشأن في أجاريت .

وإن لعدد من الأرباب الفينيقية وظائف قابلة للتبادل ، وتنعكس هذه المرونة في قابلية التبادل في كون عدد من الآلهة المصرية واليونانية واللاتينية معادلة لآلهة فينيقية . ويمكن لآلهة فينيقي واحد ، كما هو الشأن في العقائد الدينية السامية الأخرى ، أن يعد مقابلاً لآلهين أجنيين مختلفين أو مندمجا بهما . ويمكن أن تتكون هذه المشابهات على أساس من وجود ملمح مشترك عند هذا الآلهة الفينيقي وعند الآلهين الآخرين . فقد رسمت بعلة جبيل مثلاً مزدانة بقرنين وبتاج الأفعى الكوبرا ، وهي الرموز - الشارات التي عرفت بها الربة حتحور = إيزيس قرونا عديدة . وأما إل الكنعاني - الفينيقي فانه اذا ما تعرفنا عليه من جناحيه على النقود الهلنستية فيبدو مماثلاً للآله المصري رع .

ويبرز اسم أدونيس مثلاً على تهلن معبود سامي أصيل ولكن غير محدد الهوية . وهذا الاسم بصيغته الهلينة (أدونيس) مشتق ، كما هو واضح ، من الاسم أدن/ أدوني في اللغات السامية السورية القديمة ، وهو يعني سيد/ وسيدي . ولم يظهر اسم (أدونيس) اسماً لعلم بهذا الشكل مطلقاً في أي نقش فينيقي . ولكن قصته معروفة تماماً من المصادر اليونانية واللاتينية : الفتى الجميل أدونيس ، هو ولد ثمرة سفاح ، تنازعت عليه الربيان افروديت وبرسفونة وقتله خنزير بري بينما كان يصيد . وأضحى مصرعه موضوعاً لطقوس حداد خاصة . وكانت تنظم احتفالات في جبيل على شرفه بناء على ما قدمه الكاتب السوري لوقيانوس السميساطي (من القرن الثاني م) في كتابه

« آلهة سورية » . أما الطريقة اليونانية للاحتفال فتختلف بشكل كبير عن تقاليد الاحتفال التي كانت تقام في جبيل . وفي نقش يعود الى القرن الرابع ق.م يدعي قبارصة للقدوم الى اثينا للاحتفال بذكرى موت أدونيس . وحسب الطقوس المرعية في بلاد هيلاد تبدو أسطورة أدونيس مثالا على النمو المستقل في العالم الهليني لأساطير ولطقوس نشأت حول ربوبية سامية المنشأ .

موضوع موت الاله وبعثه مهم في الديانة . ولثلاثة من الارباب مكانة خاصة . ولكل منهم مرتبة مقدمة ومميزة في احدى المدن الفينيقية : أشمون (إسقليوس في اليونانية) ، في صيدا ؛ وادون (أدونيس) في جبيل ؛ وملقرت (هيراقليس) في صور . ولم يذكر أي منهم قبل الالف الأولى ق.م . ولا يعرف شيء عن مراحل تطور هذه المطابقة قبل ذلك .

ويوضح اسم ملقرت ، ملك = ملك + قرت = قرية (مدينة) خصائص هذا الاله تحت الارضية اذا ما كان معنى كلمة (قرت) يحيل على العالم السفلي المستقر تحت سطح الارض كما يفكر بعض الباحثين . وقد ارتبط اسم ملقرت مبدئيا بصور . فقد ظهرت عبادته فجأة في القرن العاشر ق.م . وقد عرفت مطابقتها مع هيراقليس عند الاغريق منذ وقت مبكر . وفي أحد التفاسير الميثولوجية هو ابن زيوس / زوث وأستريا (عشترت) . وفي تفسير آخر عند فيلون الجبيلي هو هدد دمروس (دمر) وسليل أورانوس . واستنادا الى ما يرويه بعض المؤلفين الاغريق ، فان بعث ملقرت بعد موته او قيامته تكون عندما يسبب له صديقه إيولاوس أن يشم رائحة سنماني محمصة . وكان يحتفل بقيامة ملقرت سنويا في صور وفي كل مكان بحضور الملك ويعود اقدم هذه الاحتفالات الى القرن العاشر ق.م . وبغض النظر عن شعبيته فان صورة شخصه ليست مؤكدة . وتبدو أقدم صورة له على مسلة برهدد بملاحم بعل سيد العاصفة . وله صور أخرى تقتبس ملامح هيراقليس .

أما أشمون فهو بعل صيدون / صيدا في القرن الخامس ق.م . فالملك أشمن / أشمون عزر = (أشمون ساعد) يقول عن نفسه وعن امه التي يدعوها كاهنة عشترت :

« نحن من بني بيت أشمون ، الامير المقدس ، عند . . نبع في الجبل ، وأقمنا له في السموات العلى . » (دونروليف ، [Kai, 17] .

وقد جاء معظم النقوش التي تتحدث عن أشمون من التنقيبات التي أجريت في معبد اقامته الاسرة المالكة تعظيما له . وهو في الديانة الفينيقية مثل ملقرت وادونيس ،

يموت ويرجع الى الحياة . وقد انتقلت أخباره الى المصادر الهلينية . فالمؤرخ بوزانياس^(٤) يرجع الى مصادر أصيلة فينيقية من صيدا عندما يتحدث عنه ويقول :

ان اسقليبوس الفينيقي (يعني أشمون) يتحدر من الشمس ومن أم خالدة ويذكر بقدرته على الشفاء من الامراض . أما داماسكيوس فيجعل نهاية قصته قصة أدونيس في مصرعه وموته وبعثه ويرقى به الى مرتبة إله لا يموت .

وهناك شواهد أخرى تتعلق بمسألة الموقف من الموت عند الحديث عن بيت النوح ، أو المحفل الجنزي (بالكنعانية والعبرية والآرامية المصرية : (MRZH)= = ميرزح) (٥) . وتوجد حول هذه المسألة ثلاثة نقوش لها دلالتها هي : كأس من المحتمل أن يكون مصدرها منطقة صيدا من بدايات القرن الرابع ق.م . قدم قربانا في اجتماع ديني مكرس للاله الشمس ، وهذا النقش معاصر لنقش آخر مصدره من مرسيليا ينص على اعفاء الفقراء من التكاليف الطقسية لكنه يتطلب تقديم تقدمات للكهنة من كل جماعة وكل عائلة وكل محفل كما هو الشأن في ما يتطلب من الافراد الذين يقدمون الاضاحي لتكريم الارباب وطلب مرضاها .

وهناك نقش ثالث وجد في أثينا ويعود الى القرن الاول ق.م . يشير الى رئيس المحفل الجنزي ويحدد اليوم الرابع من موت الإله موعدا للاحتفال الديني . وتوضح النصوص الثلاثة أن المحافل الدينية من أجل إله في معبد معين . وكان الاحتفال السنوي يتميز بالشراب كما يشير الى ذلك القدح البرونزي وتقدمات تذكارية أخرى وبالاضاحي ، وبتخصيص صندوق وتقديم مبالغ تساعد على جبايتها وجمعها مؤسسات تجارية محلية . وفي بعض أسفار التوراة التي نقلت عن التراث الكنعاني والفينيقي كثير من المعلومات عن الحياة اليومية والدينية فيها تفصيلات ضافية عن هذا الموضوع (عاموس ٦ : ١ - ٧ ، وهوشع ٩ : ١ - ٧) وتقدم أمثلة على ذلك في سفر إرميا ١٦ : ٥ - ٩ كما يلي :

إرميا ١٦ : ٥ - « لأنه هكذا قال الرب . لا تدخل بيت النوح ولا تحض للندب ولا تعزّهم لأنني نزعته سلامي من هذا الشعب .. »

٦ - « فيموت الكبار والصغار من هذه الارض . لا يدفنون . ولا يندبونهم ولا يخمشون أنفسهم .. »

٧ - « ولا يكسرون خبزا في المناحة ليعزوهم عن ميت ولا يسقونهم كأس التعزية عن أب أو أم »

٨ - ولا تدخل بيت الوليمة لتجلس معهم للأكل والشرب .

وهذه نماذج على بعض النصوص بين نصوص أخرى تشير الى عقد احتفالات دورية كأمثلة على سلوك غير ديني . وكان النبي عاموس (من القرن الثامن ق.م .) عنيفا جدا في مقاومة هذه المحافل التي أقيمت بأموال جُمعت من الفقراء (٦) .

وان تطبيق السحر الذي من المحتمل أن يكون واسع الانتشار مثبت في نص تعويذتين من أرسلان طاش (حداتو) في شمال سورية ، تعودان الى القرن السابع ق.م [KAI, 27] (٧) . وهاتان التعويذتان تشيران الى تصدي سزام وحورون للربة الطائرة ولخاتقي الليل ، والى تصدي بعل للشيطان بصورة الأفعى (مزح) .
تعويذة : « يا أيتها الربات الطائرة ،

يا سزام بن بدريشيشا ، رب ،
ويا خاتقي الحملان
البيت أدخل ، أمايي فسوف لن يطأه ،
القصر أطأ ، أمايي فسوف لن يدخله ،
الواحد الأبدي عقد معنا عهدا ،
عاشرة عقدت معنا حلفا ،
وكل أولاد إل ،
والكبير في مجلس كل الأحاد المقدسين ،
مع عهود السموات والأرض القديمة ،
مع عهود بعل سيد الأرض ،
مع عهود خورون الذي كلمته حق ،
ومع جواريه السبع ،
ومع زوجات بعل قدس الثمانية » (٨)

تعويذة أخرى : نص لعنة من القرن الثالث م. عثر عليه في إحدى المقابر الأثرية في قرطاجة ، وفيه دعوة للربة حوآة لكي تقوم بعمل سحري [KAI 89] (٩) .

أما أشهر ممارسات الديانة الفينيقية فهي تضحية الاطفال . وقد ذكرت في التوراة وعند المؤلفين الكلاسيكيين . وقد كانت ممارسة اجتياز الاولاد النار معروفة عند بعض الاقوام القديمة كما جاء في سفر الملوك الثاني ١٦ : ٣ ، ٢٣ : ١٠ وفي سفر

إرميا ٧ : ٣١ ، وفي مواضع أخرى أيضا . ولكن الشريعة الموسوية تدين هذه الممارسة كما جاء في سفر اللاويين .

ويكثر ذكر هذه الممارسة كذلك في الآثار ، ولكن كل الشواهد عليها جاءت بالواقع من قرطاجة ومستعمراتها في الحوض الغربي للمتوسط . ففي قرطاجة عثر على ٢٠٠٠ من الجرار الجنزية ، فيها بقايا هياكل عظمية إنسانية وحيوانية أحرقت في المحرقة (وهي كلمة توفيت في المصادر التوراتية) على امتداد ٦٠٠ عام . وهناك بعض الجرار الجنزية التي تحتوي على بقايا عظام حيوانية وحسب (ملك عمور : أضحية حيوانية) ، وجرار أخرى تحتوي على رفات اطفال ، ومجموعة ثالثة من الجرار تضم بقايا حيوانات واطفال معا . وكانت كلها محروقة . وفي المقابر العادية رفات أولاد مدفونين وبقايا آخرين محرقين .

ولقد خضعت ممارسة تضحية الاطفال في فينيقية وفي قرطاجة وعند بني اسرائيل في العهد القديم لمراجعة تحليلية كاملة . وتبين أن هذه الاضاحي كانت استثنائية وقد بالغ بعض الكتاب في الحديث عنها وفي اطلاق التعميمات . فكلما (توفيت) تدل على مقبرة للاطفال الذين توفوا لأسباب طبيعية ، وقد كُرسَت هذه المقبرة لتأنيث اللطيفة ولجعل حمون . وأما الطقس المذكور حول المرور في النار فهو يعني حقيقة المرور بين النيران ، وهو طقس للدخال في مرحلة من الولاء الديني أكثر مما هو تضحية (١٠). ولكن هذه المراجعة لم تمر دون اعتراض (١١) .

وقد دلت مراجعة تقدير النسبة الضعيفة لعدد الاطفال الذين أحرقوا في المقابر العادية في قرطاجة على أن (توفيت) كانت مقبرة عادية للاطفال . هذه النظرية رفضت عمليا من واقع أن النسبة نفسها هي من خصائص المقابر القديمة في أمكنة أخرى . ويظهر أن أجساد الاطفال سحبت بوضع مختلف عن وضع أجساد البالغين . ويمكن التأكيد أخيرا أن تضحية الاطفال هي حقيقة محققة في قرطاجة كما دلت البراهين الاثرية الكثيرة ، بالإضافة الى ما ورد من نقد لهذه العادة في مواضع الانبياء والكتب التاريخية من أسفار العهد القديم . ولكن لا يمكن البرهنة على أن هذه العادة كانت تمارس بصورة نظامية في فينيقية وذلك لأنه من الصعب جدا إجراء التنقيبات الاثرية الضرورية في المدن القديمة ، إلا أنه من الممكن التأكيد باطمئنان بأن هذا الطقس كان يمارس أحيانا على الأقل .

ومن جهة أخرى فإن الوقائع التاريخية والاجتماعية المستقاة من أمكنة أخرى من العالم القديم توحى لنا بأن تضحية الاطفال في فينيقية لم تكن طقسا دينيا وحسب

ولكنه كان طريقة ما لتنظيم تزايد السكان ، لان حلول تضحية الحيوان محل تضحية الانسان غدا اقل تكرارا مع تكاثر عدد السكان في قرطاجة .

ومن الامور المثيرة للتفكير بصورة خاصة النظريات المتعلقة بأصل الكون وما كان يروى عن أصل العالم ، لانها تفسر لنا معنى العناصر الاساسية للكون . ولكن البراهين الكونية في الديانة الفينيقية هي لسوء الحظ محدودة في عدد من النصوص الفامضة عند فيلون الجبيلي ، وفي العبارة « الى قن إرِص » أي « إل خالق الارض » . وتظهر هذه العبارة في القرن الثامن ق.م . في نص لعن ورد على لسان أزيثاودا ملك أزنة (في كيليكية) وفيه ما يلي : « بعل شمس (أي رب السموات) ، وإل خالق الارض والشمس الابدية » [Kai, 26, III, 18-19] . وهذا النص مزدوج اللغة ، فينيقي - حثي ، عثر عليه في قره تبه ، كازي لاري ، صدفة عام ١٩٤٦ ، على مسافة تبعد ٦٠ كم الى الجنوب الغربي من مرعش (في تركيا) على ضفة نهر سيحان (بيراموس في المصادر الكلاسيكية ، في جبال الامانوس) وتظهر هذه الفكرة كذلك في نص نذري من القرن الثاني م . عثر عليه في لبيتس ماغنا (لبد) ، ويتألف من اربعة أسطر ، [Kai, 129, I] (١٢) . وفي التوراة نجد الصفة ذاتها « خالق الارض » في سفر التكوين ١٨: ١٤ ، ولكن في سفر التكوين ١٤ : ١٩ نجد ما يلي : « إل العلي (عليون) قاني شميم وإرِص » ، « إل عليون خالق السموات والارض » (١٢) وتطلق الصفة نفسها على الاله على لسان ملكي صدق ، ملك شلم (١٤) ، عندما بارك ابراهيم الخليل حسب التقاليد المتواترة .

وفي اللغة الفينيقية يمكن للانسان أن يكون الفاعل لفعل قن (قان) [Kai, 25] فالملك أزيثاودا (كيلاموا) (قن) شيئا ما ليقدمه هدية . ولكن في كل الحالات الخمس التي يصادف فيها الفعل قن في العهد القديم (التكوين ١٤ : ١٨ ، ١٩ ؛ المزامير ١٣٩ : ١٣ ؛ الامثال ٨ : ٢٢ ؛ التثنية ٣٢ : ٦) نجد الاله هو الفاعل . وينقل الينا فيلون الجبيلي عددا من النظريات الكونية ، وأولها تستدعي في ذهننا ما يرد في سفر التكوين الاول . فمصدر الكون دخان قائم تذرؤه الرياح وكأنه عاصفة دخانية سوداء ، ومن اللاتكون الضبابي كالغمام أو الهيولى . وهذه الاشياء لم تكن مترابطة ، وكانت تصور متمادية لا حدود لها . ثم يقول : وعندما اشتاقت الرياح الى مصدرها ، وعندما وجد من ذلك مزيج كانت الشهوة . وكان من ذلك بداية خلق كل شيء ، الا أنه لم يكن واعيا بخلقه . ومن تناسج الرياح نفسها اتى موت (وهذا الاسم لا يدل على رب الموت الكنعاني موت) ، ولكن بعضهم يقول ان هذا هو موت ويقول آخرون ان ذلك هو نتيجة تعفن الخليط الرطب . من هذه المادة الجوهر كانت كل بذرة من بذور الخلق والتكوين ، أي نشأة الحياة « Zoogony » .

وقد جاءت بعض المخلوقات الحية دون إحساس ، ومنها جاءت مخلوقات ذكية دعيت الافلاك لمراقبة السماء . وقد تشكلت هذه على شكل البيضة تقريبا . وقد تبدى موت فيما بعد في صور الشمس والقمر والنجوم والابرار (١٥) .

وهناك نظريات أخرى في نشأة الكون وفي أصل الألوهية ضمنت آثارها في تاريخ الثقافة وفي الموروث الميثولوجي وانه من الصعب تماما فهمها والربط فيما بينها بمواد متماثلة . وتشمل هذه النظريات عند فيلون مبحث اصول حياة النبات والحيوان ، وهو يشير في بحثه الى عدد من مؤسسي مظاهر الثقافات . وفي كل من ملحمة أتراحسيس البابلية وسفر التكوين ١-١١ ، يبدو جليا مثل هذا الميل الى نشر مقتطفات من هذا النوع في تشكيل النظريات الكونية التي اهتمت بتصور كيفية ظهور المحيط الكلي للحضارة لا بنشأة الطبيعة الكونية وحسب .

الديانة في المدن الفينيقية :

سنحاول الان في هذا الجانب من البحث تحديد مجمع الارباب (البانيون) المحلي في عدد من المدن الفينيقية ،

صور :

بعد احياء المدينة على أيدي الصيداويين في القرن الثاني عشر ق.م أضحت صور أقوى المدن الفينيقية ووصلت الى ذروة غناها ومجدها زمن حيرام الذي تردد مصادر العهد القديم أنه كان معاصرا لداود وسليمان (القرن العاشر ق.م) . وقد احتفظت بمكانتها حتى منتصف القرن الثامن ق.م . ولكن نظرا لهذه السيادة لمدينة صيدا ولتاريخها المبكر دعي الفينيقيون شعبا صيدونيين حتى بعد انتهاء زمن تلك السيادة . أما النقوش المكتوبة التي تتحدث عن مدينة صور فلم تصل الى أيدي الباحثين من صور ذاتها . بل من البلاد التابعة لها أو المدن المحيطة بها .

ويرى معظم الباحثين أن ملقرت هو رئيس الارباب في صور ، وتسجل الحوليات الصورية ان الملك حيرام بنى معابد للمقرت ولعشرتت في القرن العاشر وكان أول من احتفل بقيامته (١٦) . ويتناول الباحثون بعامة موضوع بعث الاله بوصفه دليلا على موت الاله وقيامته . وملقرت مثله كمثل آلهة أخرى يموت ويقوم . الا انه لم يرد له ذكر في الالف الثاني ق.م . وأول نقش ورد فيه ذكر ملقرت هو نقش برهدد الارامي الذي يعود الى القرن التاسع [K A i 201] ، وقد عثر عليه على مسافة تبعد ٧ كم شمال حلب . وان المسلة المرافقة للنقش تصور ملقرت بقلنسوة لها قرنان وبلطة حربية لاله العاصفة بع = هدد (١٧) . ومن المحتمل أن يكون حيرام قد أدخل اصلاحا دينيا

برفع ملقرت الى مرتبة اله الاسرة المالكة في صور . ويمكن أن يكون ملقرت شكلا من التجسيد الاسطوري لفكرة الملكية الفينيقية ، فسرت أصلا لكي تقدم مؤسس مدينة صور وسيدها وهو الذي أضحى بعد ذلك الرب الحامي والمبدع البارع لاهم منجزات المجتمع ، صباغ الارجوان ، والملاحه والانتشار غربا(١٨) .

وفي نقش من القرن الثاني مكتوب بلغتين (الفينيقية ، والاغريقية) عثر عليه في مالطة [KAI, 47] نص مكرس « لأدن للمقرت بعل صور » أي « الى سيدي ملقرات (وهو هيراقليس) ، سيد صور » .

وفي النص الاغريقي كلمة (Archegetis) وتعني مؤسس المدينة أو الاسرة المالكة . وقد عثر على مزيد من نصوص التكريس الموجهة للمقرت في محطات تجارية ومواقع من المرجح أنها كانت تابعة لصور في قبرص وقرطاجة وصقلية ومالطة واسبانيا ، وقد ورد ذكر بعل صور في التوراة ، وقد اتخذ الملك أجذب الاميرة إليصابات من البيت المالك في صور زوجة له فعملت على رفع مقام ملقرت واضطهدت مؤيدي يهوه طوال حياتها . وقد سجل سفر الملوك الاول (ملوك ١٨: ١) بعض وجوه الصراع بين بعل صور . ولكن من الممكن أن يكون بعل السموات (بعل شمس = هدو/هدد) ويرتبط اسمه بالجبل والخصوبة . وقد طرحت فرضيات أخرى منها أن البعل هنا يمكن أن يكون بعل لبنان الذي ظهر في القرن الثامن في نقش ليماسل (قبرص) [KAI, 31] (١٩) ، كما يمكن أن يكون بعل حرمون الذي يذكر في سفر القضاة أنه اله فينيقي (٢٠) .

وقد تم توثيق تفوق ملقرت في صور في نص معاهدة تعود الى القرن السابع ق.م . بين أسر حدون ملك آشور وبعل صور(٢١) . وقد صيغت نصوص المعاهدات القديمة صياغة دقيقة وبأسلوب أضحى تقليديا لا يتغير عبر العصور . وكان من المعتاد ترتيب الارباب بحسب مكانتها ويحتل الاله الرئيسي المكان الاول . ففي المرتبة الاولى في المعاهدة المذكورة بعد الالهة الاشورية ، الالهة سبعة ثم يذكر بيت إل وربما كان هذا الاسم صيغة آرامية ، وكذلك عنات بيت إل .

وبغض النظر عما هناك من اختلاف في الرأي في تحديد نهاية ذكر الآلهة الاشورية وبداية ذكر الآلهة الفينيقية الصورية ، فان الدراسات المقارنة تميل الى التقرير بأن (الآلهة سبعة) تنهي قائمة الارباب الاشورية وأن قائمة الارباب الصورية تبتدي في المعاهدة الاشورية — الصورية — بالاله بيت إل(٢٢) . ويبرهن باري بشكل مقنع بأن بيت إل هو أقنوم ، ومع ذلك فان هوية قرينته عنات بيت إل يبقى غير مؤكد(٢٣) . ولكن

ما هو اقل اقناعا من ذلك هو تحقيق باري لهوية القرينة عنات بيت إل ومطابقتها مع الربة عنات (٢٤) . ففي الادب الاجاريتي عنات هي قرينة بعل وليست قرينة إل ومع ذلك فانها قرنت في الشعر مع عشترت . وهذه الربة الاخيرة كانت مهمة في اجاريت ، في طقوس العبادة ، اذا لم يكن الحديث الذي وصل الينا عنها مجرد قصص ثم ان اسمها هذا هو الترجمة السبعينية العاشرة في النص الماسوري . وان تصنيف إل في المرتبة الاولى في المعاهدة والتفوق الذي احرزه ملقرت لدى الاسرة المالكة يمكن ان يعكس صورة إل الاجاريتية ، فهو الجد الاعلى للارباب ورئيس الملائكة = المجمع الالهي ، ولكنه على الرغم من هذه الحقيقة ليس راعيا للأسرة المالكة . وان نصوصا من موقع أم العواميد التابعة لصور تذكر ال وبعل شمم = بعل السموات ولكنها لا تذكر ملقرت . وهكذا يأتي تأييد أولوية موقع إل (٢٥) . ويقدم بكهام براهين أخرى ضد الفكرة القائلة بأن ملقرت هو رمز تفوق صور (٢٦) .

وتأتي دلائل بعد ذلك حول تكوين مجمع أرباب في صور من مصدر مهم ، هو أسماء الاعلام ، ولكن تقدير مدى انتشار أسماء الاعلام يبقى عشوائيا ، وهو لذلك لا يكفي لاستخلاص نتائج يعتمد عليها . فاسماء بعض الالهة تشكل أجزاء من أسماء اعلام مركبة كما يتضح في أربعة نقوش من صور :

بعل (اربع مرات) ، ملك (مرتان) ، ملقرت (مرتان) ، وبسطة (ربة مصرية ، مرة واحدة) . ويطلق اللقبان بعل وملك على أرباب متعددة . وهناك خمسة نقوش من القرنين الثالث والثاني عشر عليها في أم العواميد نذرت للمقرت باسم « ملك-عشترت رب حمون » ، وحمون هو اسم مكان كما يتضح من نقش يرد فيه ذكر « هؤلاء الناس من حمون » (٢٧) . وملك - عشترت يمكن أن تعني ما يلي : « ملك (بمعنى قرين) عشترت » = ملقرت ، أو « ملك (المدينة) عشترت » ، أي ان الربة تحتفظ باسم المدينة (٢٨) . ويذكر بعد ذلك في المعاهدة ، الثالث : بعل شمم ، بعل ملاقي ملقه وبعل صفون ، وهي بالتأكيد أرباب العاصفة التي سوف تثير ريحا صرصرا على سفنكم . ومع ذلك فان هوية بعل شمم ما تزال موضع جدل . وبينما يجعله الباحث باري بشكل مقنع مطابقا لهدو/هدد ، وهو أيضا بعل الاجاريتي ، يرى البرايت (1968, 228) ، انه الرب الفلكي عشتار ، وهو فينوس صباح ، أما أودن (1977, 473 - 457) فيجعله مطابقا لإل . ويعرض كوبر ، بكل بساطة ، رأيا يقول بأن بعل شمم هو « الرب الاعلى في أي مجمع للارباب » وبعل ملقه يمكن أن يكون أيضا كوثرو في اجاريت . ويختلف بعل صفون عن هدو/هدد . وبعل هو على كل حال إله شعبي يشكل اسمه عنصرا في تركيب أسماء الاعلام . ويحتل ملقرت وأشمون بين الارباب المحل الثالث في المعاهدة ، وهما يرتبطان بالخصوبة لأن بوسعهما « أن يسلما

أرضكم الى الخراب وأن يعمل على زوال الطعام لأفواهكم ، والملابس لأجسادكم ،
والزيت لأدهانكم » .

وآخر ما ذكر عشترت بكونها ربة الحرب « لتكسر عشترت قوسك في معمعان
المعركة » ، وقد بنى حيرام معبدا لها كما نذر معبدا آخر للمقرت ، وهي الربة الوحيدة
التي ذكرت في نقش محلي من صور يعود الى القرن الثاني [KAī, 17]

وذكر الرب ملك - عشترت في أم العواميد ، التي كانت تابعة لصور مع أشخاص
نذروا لعشترت خمسة قرابين متأخر للشكر . ومهما يكن فإن عشترت كانت منتشرة
على نطاق واسع في سورية وفلسطين ، وقد جعلت مطابقة لعدد من الارباب الاخرى
منهم أفروديت وهيرا وسيبيل .

صيدا :

اضحت صيدا زعيمة المدن الفينيقية طوال مدة الاحتلال الفارسي ، ونجد
آثارها في مستعمراتها وفي المناطق التابعة لها في قبرص وصقلية والاناضول واليونان
والعالم الايجي ، ومنها نقوش على مبان ملكية ، ونصوص جنزية ونصوص نذرية ،
وسجلات معابد ، ونصوص طقسية ، يتراوح تاريخها ما بين القرن التاسع والقرن
الثالث ق.م . وفي البدء هناك نقوش تابوتي تبنت كاهن عشترت وأشمون عزز ،
وتكريس معبد أشمون لـ [ع] بد عشترت Bd °shtart ، وكلهم ملوك صيدا من القرن
الخامس [KAī, 13,14,15,16] (٢٩) .

وتعلن الاسرة الحاكمة في صيدا أنها بنت عددا من المعابد : اثنين لعشترت في
مكانيين من المدينة ولأشمون ولآلهة الصيدونيين ، ومعابد لبعل صيدا « ولعشترت بن
بعل » . وهذا المعبود الاخير هو أقنوم معروف في أجاريت «عشترت وجه بعل» . وفي
قرطاجة كانت تانيت تدعى وجه بعل [KAī 78, 2] . وأشمون هو إله صيدا الذي
يموت ويقوم ، وتبرهن إقامة هذه المعالم على الورع الملكي ، ويوجه الدعاء الى الارباب
لكي تحميها من السلب والنهب . وإذا ما استخلصنا أحكامنا من النقوش ، فالربان
الرئيسان للأسرة المالكة في صيدا هما أشمون وعشترت ، وكانت الربة المذكورة تدعى
سيدة وملكة (ربتن ، هملكة) ؛ وكان الملك والملكة عضوين في الهيئة الكهنوتية .

لقد عولج موضوع ارتباط الملوك بالدين في أسفار التوراة ، وفي التقاليد الدينية
القديمة وعلى لسان الانبياء ، ولم يتوقف هذا الارتباط طوال تاريخ المدن الفينيقية .
وهناك مفاهيم علوية للملكية نجد شواهد عليها في بعض النصوص ، كما في النصوص
الطويلة لكل من كيلاموا في سمأل = زنجولي ، وأزيتاودا من أضنة [KAī , 24, 26]

فكلاهما يرتبطان بمعاهدة ، وفي نقشيها تشابه في الاسلوب وفي الموضوع (٣٠) . ويلاحظ بلهام أن بعض المنافع التي كانت تصيب الناس كانت تعزى في التوراة الى الرب لا الى الملوك . فالرب للشعب أم وأب ، يحمي الحدود ويؤمن السلم ويقيم العدل ويعم الصلاح (٣١) .

جيبيل :

كان في جيبيل معبدان ، يعود أحدهما الى زمن مبكر من الالف الثاني ق.م. وقد كرس لأحد الأرباب ، عرف بأنه « رشف » . والثاني ، وهو يعود الى زمن أقدم كرس الى « بعلة » ، « السيدة » أو « ملكة جيبيل » . وقد ذكرت في القرن الرابع عشر في نصوص وثائق العمارنة بهذه الصيغة « د بلتو شا جبلا » . وأهم وظائفها تتعلق بالامومة والخصوبة . وقد ذكرت في القرن الثاني م. بهذه الصيغة « أفروديت البابلية » .

وتمتد نقوش جيبيل على طول الالف الثالث ق.م. وتشتمل على نصوص متنوعة جنزية وتكريس لمذابح وكتابات على جدران الاكروبوليس وتمائيل الأرباب . وتحدث النقوش الملكية من بدايات الالف الاول ق.م الى القرن الخامس ق.م . عن سيدة جيبيل ، وتذكر فيها غالبا بأنها هي حامية الاسرة المالكة . وكان الملك يتوجه اليها بالشكر أحيانا « أدعوها وهي تسمع صوتي » [KAi 10,2-3, 78] . ويصلي يحيى ملك في القرن العاشر ق.م . لبعل شمم (المذكور هناك وحسب) ، لسيدة جيبيل ، وللجمعية العامة (مفخرة) لأرباب جيبيل المقدسين « [KAi, 4,3-5] ، ويسأل طول العمر لملك الآلهة . وكرر خلفاء يحيى ملك في القرن نفسه ، وهم إبي بعل ، وإيلي بعل ، وشفط بعل الصيغة نفسها . وفي القرن الخامس ، تحت حكم الفرس يصلي الملك يهو ملك لاسم « ربته ، سيدة جيبيل التي تقيم حكما على جيبيل لكي تطيل أيامه وتؤيده مع أرباب بلده وشعبه » [KAi, 5] . وفي الحفر الذي نجده على النقش الاخير صُورت الربة الفينيقية ، كالربة المصرية حتحور وهي تحمل قرنين على رأسها وقرص الشمس بينهما وتوجت بغطاء للرأس زين بشكل الافعى المقدسة . وكان تصوير الأرباب الفينيقية بالصور المتأثر بالاشكال المصرية يمثل انعكاسا لتأثير الحضارة المصرية القديمة على بلاد المشرق القديم . وقد شدد الملوك في ما تركوه من وثائق على حقهم الذي يقود الى الامل بحياة مديدة تمنحها لهم الآلهة ، الصدق والاخلاص في [KAi, 4,6-7] والصدق في [KAi, 10,9] . وتدخل مقاطع من الاسم الالهي في تركيب الاسماء الملكية كاسم بعل أو ملك مثلا : إتبعل (بعل معه) ، يحيى ملك (ليحيى الملك) . ومن غير الممكن أن نحدد إلى أي أرباب يعود هذا المصطلح من الوقت الذي صار فيه هذان الاسمان يطلقان على أرباب عديدين .

قرطاجة :

احتفظت قرطاجة بوصفها في بدايتها « مستعمرة ممتازة » بكثير من المظاهر

الاصلية للديانة في المدينة ، صور ، في القرن الخامس ق.م . ومع ذلك فقد اتخذت لنفسها بعد ذلك منحى مستقلا وجد فيه بعض الباحثين اتجاهها إصلاحيا أو انعكاسا لتغيير تاريخي هام (٢٢) .

أما أوثق المعلومات عن مجمع الارباب الفينيقي فلم يكن مصدرها من النقوش بل من المعاهدة المحفوظة لحسن الحظ في نسخة صحيحة عند المؤرخ الاغريقي بوليبيوس (٢٣) الذي رتب الارباب بدقة عند كل من الطرفين المتعاقدين . وهكذا ينطبق على مجمع الارباب القرطاجي ما وجدناه في معاهدة بعل صور مع آشور .

أما المعاهدة بين هملقر وفيليب المقدوني للعام ١٤٦ ق.م ، فقد روعيت في صياغتها قواعد صارمة معتمدة ، وفيها صُنفت الارباب في ثلاث بدلا من تصنيفها زوجا زوجا كما كان متداولاً في المشرق .

وقد درس هذه المعاهدة م. باري (١٩٨٣) ، وقدم عنها دراسة تحليلية هامة نوجز فيما يلي أهم محتوياتها .

ففي العمود الايسر من الجدول المرفق نجد أسماء أرباب قرطاجة مقارنة بما يقابلها عند اليونان . وفي الجدول نجد نتائج الدراسة المقارنة للمطابقة التي انتهى اليها باري بين هذه الارباب عند القرطاجيين والاجارتيين وتتوافق المعاهدة والنقوش في ذكر الارباب الرئيسية في قرطاجة . وقد كرس كثير من النقوش للربة ، لتنيت ، وجه بعل ولأذنن ، لبعل حمون . وتستدعي هذه الصفة وجه بعل اسم عشترت وجه بعل في أجاريت وهي تدعو الى التفكير لتجسد بعل في الربة الفينيقية . أما في المعاهدة فان هيرا تقابل تنيت القرطاجية وزیوس هو بعل حمون . ويتضارب الرأي حول التعرف على هوية تنيت وبعل حمون وعن علاقتهما بأرباب العالم الفينيقي الشرقي (٢٤) . وهناك آراء لمطابقة عنات وعشترت وعاشرة مع تنيت ، ولمطابقة إل وملقرت مع بعل حمون . ويجعل نقش من القرن السابع ق.م. وجد في سربتا/ صرفند (بين صيدا وصور) ، الربتين تنيت وعشترت معا (٢٥) . ولكن عندما يعاني كروس (٢٦) مسألة هوية بعل حمودة ملقرت يقيم دليلا جديدا على نقص الترجمة التقليدية لاسمه « سيد المجرم ، الكانون » = حمان مؤيدا تفسير الاسم بأنه « إل سيد (الجبل) ، الامانوس = حمانو » . وهذا ما يؤيد معاهدة صور التي تجعل إل سيد الارباب في المدينة . أما ملقرت وأشمون فيأتیان في المرتبة الثانية في المعاهدة ولكل منهما معبد في قرطاجة [Kai, 86,3] وهدية سنوية كانت ترسل لتهدى الى معبد ملقرت في صور.

وهكذا ، نظرا لما يحوم من شكوك حول كثير من الدلائل فان التوصل الى استخلاص نتائج حول مجمع الارباب في معظم المدن الفينيقية يضحى مجرد محاولة لاستخلاص نتائج موقته .

ان معطيات المعاهدتين اللتين ورد ذكرهما في هذه الدراسة تقدم الترتيب الرسمي للأرباب في مدينتين فينيقيتين في حقبة زمنية معينة ، وهذا يختلف عن موقع الأرباب الحامية لدى الاسرات الحاكمة وفي العقائد الشعبية .

ان ما كان يفترض غالبا من وجود ثالث من الأرباب في المدن الفينيقية ، وما كان يقال عن الرب الحامي للمدينة ، والربة القرينة التي ترمز الى خصوبة الأرض ، والرب الشاب الذي يبعث ويقوم كل سنة مع نمو النبات (موسكاتي ، ١٩٦٨) (٣٧) مقولات لم تعد تستند في أوساط الباحثين الى دلائل مقنعة بدرجة كافية .

مقارنة لمجمع الأرباب في المعاهدة القرطاجية

أجاريت	صور	قرطاجة	بوليبوس
إل	بيت إل	بعل حمون	زيوس
عناث	عناث بيت إل	تانيت	هيرا
رشف	—	رشف	أبولو
بعلو صفاني	عشتر ت (و)	عشترت	دايمون القرطاجيين
؟	ملقر ت (و)	ملقرت	هيراقليس
كوثرو	أشمو ن (و)	أشمون	إيولوس
هدو	بعل شمم (ي)	بعل شمم	أريس
عشترت	بعل ملا قي	كوشر	تريتون
ملك	بعل صفوذ (و)	بعل صفون	بوسيدون
(= هدو)			

* * *

الحواشي :

- (١) نشر عمل فيلون الجبيلي لأول مرة عام ١٨٤٩ ، (٨)
انظر : Cross and Saley , 1970, 44-45;
Cross, 1974, 486 - 90.
- (٩) هذه التعميدة موجودة الآن في متحف قرطاجية - العرب .
- (١٠) Weinfeld 1972 ; Benishou —
Safar 1982 ; Moscati 1987 ;
Ribichini 1988, 120 - 123 .
Stager and Wolf 1984; Smith
1975 .
- (١١) ثم أعيد نشره حديثاً :
Attridge, Oden, 1981.
- (١٢) بطريرك قيسارية في فلسطين ، واحد كبار
الآباء المؤسسين للكنيسة الشرقية ، ويمعد
أهم واضعي أساس علم تاريخ الأديان . يعلن
أوزبيوس في كتابه أنه ألفه بالاستناد إلى
مصادر يونانية وفينيقية ، واطلع على أعمال
كنهنة فينيقيين . انظر :
Encyclopédie de l'Antiquité
Classique, Bruxelles (1962) .
- (١٣) - العرب -
Attridge and Oden, 1981. (٢)
Baumgarten, 1981.
- (١٤) بوزانياس ، Pausanias ، قائد
ومؤرخ يوناني ألف كتاباً في الجغرافية دليلاً
للطرق (١٥٠م) قدم فيه معلومات ثمينة عن
المسالك والمدن والدول وذكر فيه كثيراً من
العالم العمرانية والآثار الفنية التي ضاعت
وفقدت بعدئذ . وفي الكتاب معلومات هامة
عن التقاليد الشعبية والطقوس الدينية
وبخاصة في الريف اليوناني - العرب - .
- (١٥) ترد الكلمة في العربية أيضاً . انظر رزح في
القاموس المحيط للفيروز أبادي . وفيه
المرزح هو الصوت ، لا شديدة ، ويرى
الجوهري أنه الصوت المرتفع . والمقصود هو
الندب أو صوت الفرح - العرب - .
- (١٦) راجع : Beckmann, 1987 : 82 - 83 . (٦)
(٧) هما النموذج الوحيد من هذا النوع من
النصوص الكنعانية ، والان في متحف حلب .
- العرب - .
- (١٧) هذا النص موجود الآن في متحف حمص في
لبنية - العرب - .
ولكن في طبعة كمبردج للكتاب المقدس نجد
ما يلي : « مالك السموات والأرض » ، بينما
يفضل الفيروز أبادي في القاموس المحيط
تفسير قان بمعنى خالق .
- (١٨) شلم من أسماء ال ، اسم الآلة في الكنعانية
وفي العربية (انظر لسان العرب ، وشلم
يعني سالم وتام وكامل ، وهو اسم لمعبد
ال ومدينة القدس في أقدم المصور كما ورد
في النصوص المصرية القديمة ورسائل
العمارنة - العرب - .
- (١٩) Attridge and Oden, 1984:37.
- (٢٠) يوسفوس :
Jewish Antiquities VIII,146.
Cross 1972, 36-42; Pitard 1988.
Ribicini 1988. 110 .
- (٢١) انظر أيضاً
Gray 1970 : 395 - 6 .
- (٢٢) سفر القضاة ٣:٣ ،
R. DeVaux, 1941, 720 ; 1967,
484 - 497.
- (٢٣) د. ويزن ١٩٥٨ ، رينر ١٩٦٩ : ٥٣٣ -
٥٣٤ .
- (٢٤) Barré, 1983, 45-6 .
Barré, 1983, 46 - 50.

- فيها . وقد وصل التاريخ الى ذروته مع رومة التي سادت العالم وهو يرى ان الدستور الروماني يتميز بالتوفيق بين الملكية والارستقراطية والديمقراطية . وكان موضوعيا في معالجته للتاريخ، وهو لم يمتنع عن استخدام مصادر قرطاجية لتأييد موقف قرطاجة عند بحثه في الحرب البونية مع رومة . يتمتع كتاب (التاريخ العام) لبوليبيوس بالثقة والاحترام عند الباحثين لانه توصل الى مصادر اصيلة لقربه من بعض الشخصيات النافذة في عصره ولا مكانه مراجعة المحفوظات الرسمية . وهو يعد اهم مؤرخ اغريقي بعد توكيديدس -المغرب.
- (٢٤) Barré , 1983, 58.
- (٢٥) Magnanini, 1973, 16.
- (٢٦) Peckham, 1987, 91, n. 25.
- (٢٧) Magnanini, 1973, 17, 74.
- (٢٨) Barré, 1983, 177 - 78n . 325
- Pardée , 1988.
- (٢٩) Magnanini, 1973, 9.
- (٣٠) Beckham, 1987, 92, n. 35.
- (٣١) Beckham, 1987, 82.
- (٣٢) Rabichini, 1988, 113.
- (٣٣) بوليبيوس . Polybius مؤرخ اغريقي من العصر الروماني (٢٠٣ - ١٢٠ ق.م) . فلف بمسؤوليات هامة لدى الحلف الاثاني ونقل الى ايطالية مع ١٠٠٠ من الاثانيين بعد معركة بيدنا . وكان يتردد على حلقات بعض كبار الشخصيات الرومانية ومنهم سكيبيو . كتب (التاريخ العام) في اربعين جزءا ، وهو يغطي حقبة من ٢٦٦ - ١٤٤ ، وبقى منه الاجزاء ا -ه بكاملها ، ونقلت شواهد كثيرة من الاخرى الى كتب مؤلفين اخرين وحفظت
- (٣٤) Cross, 28 - 35 ; Barré , 1983 , 58 - 61 .
- (٣٥) Pitchard, 1978, 104 - 7; 1982 , 83 - 92.
- (٣٦) Cross, 1973, 24 - 36.
- (٣٧) Moscati, 1968, 36.

مراجع:

نشرت في السنوات الاخيرة دراسات هامة حول الديانة الفينيقية أهمها أعمال: س. ريشيني و أ.م. كوبر و ب. بكهام . وما يزال المعجم الذي أصدره م. ه. بوب و ف. روليف (بالالمانية) عن الميثولوجية السورية في اجاريت وفينيقية مرجعا هاما ، وتشكل النصوص الفينيقية مرجعا أساسا لدراسة الديانة الفينيقية . وقد نشرت هذه النصوص بكاملها في عدد من اللغات الاجنبية وأهم مجموعات النصوص هي التالية: - دونر و روليف (بالالمانية) ، يشار اليها عادة بالمختصر KAī وقد رجعنا الى هذه المجموعة (ثلاثة مجلدات) للتحقق من النصوص الواردة في البحث .

- ج. ل. جيسن (بالانكليزية) .

- مانيانيني (بالاطالية) .

- أما دازي (بالاطالية) .

وفيما يلي قائمة مبوبة ومرتبّة زمنيا بالمراجع عن الديانة الفينيقية :

- Albright, W. F.
1968 *Yahweh and the Gods of Canaan*. Garden City, NY: Doubleday.
- Amadasi, M. G. G.
1967 *Le iscrizioni fenicie e puniche delle colonie in Occidente*. Studi semitici 28. Rome: Istituto di Studi del Vicino Oriente.
- Attridge, H. W., and Oden, R. A.
1981 *Philo of Byblos The Phoenician History: Introduction, Critical Text, Translation, Notes*. Catholic Biblical Quarterly Monograph '9; Washington: Catholic Biblical Association of America.
- Barre, M.
1983 *The God-List in the Treaty between Hannibal and Philip V of Macedonia: A Study in Light of the Ancient Near Eastern Treaty Tradition*. Johns Hopkins Near Eastern Studies. Baltimore: Johns Hopkins.
- Baumgarten, A. I.
1981 *The 'Phoenician History' of Philo of Byblos: A Commentary*. Études préliminaires aux religions orientales dans l'empire romain 89. Leiden: Brill.
- Benichou-Safar, H.
1982 *Les tombes puniques de Carthage: topographie, structures, inscriptions et rites funéraires*. Paris: Editions du Centre National de la Recherche Scientifiques.
- Cooper, A. M.
1987 Phoenician Religion. Pp. 311-18 in *The Encyclopedia of Religion*, vol. 2, ed. M. Eliade. New York: Macmillan.
- Cross, F. M.
1972 The Stele Dedicated to Melcarth by Ben-Hadad of Damascus. *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 205: 36-42.
1973 *Canaanite Myth and Hebrew Epic*. Cambridge: Harvard.
1974 Leaves from an Epigraphist's Notebook. *The Catholic Biblical Quarterly* 36: 486-90.
- Cross, F. M., and Saley, R. J.
1970 Phoenician Incantations on a Plaque of the Seventh Century B.C. from Arslan Tash in Upper Syria. *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 197: 42-49.
- Ebach, J.
1979 *Weltentstehung und Kulturentwicklung bei Philo von Byblos*. Beiträge zur Wissenschaft vom Alten und Neuen Testament 108. Stuttgart: Kohlhammer.
- Gibson, J. C. L.
1982 *Textbook of Syrian Semitic Inscriptions: Volume III Phoenician Inscriptions*. Oxford: Clarendon.
- Gray, J.
1970 *I & II Kings*, 2nd ed. Philadelphia: Westminster.
- KAI = Donner, H., and Röllig, W.
1966 *Kanaanäische und aramäische Inschriften*. Wiesbaden: Harrassowitz. 3 vols.
- Magnanini, P.
1973 *Le iscrizioni fenicie dell'Oriente: testi, traduzioni, glossari*. Rome: Istituto di Studi del Vicino Oriente.
- Moscatti, S.
1968 *The World of the Phoenicians*, Trans. Alastair Hamilton, from Italian. New York: Praeger.
1987 *Il sacrificio punico dei fanciulli: realtà o invenzione?* Rome: Accademia nazionale dei Lincei.
- Oden, R.
1977 Ba'al Samem and 'El. *The Catholic Biblical Quarterly* 39: 457-73.
- Pardee, D.
1988 A New Datum for the Meaning of the Divine Name Milkashtart. Pp. 55-68 in *Ascribe to the Lord. Biblical and Other Essays in Memory of Peter C. Craigie*, eds. L. Eslinger, G. Taylor. *Journal for the Study of the Old Testament*, Supplement Series 67. Sheffield: Sheffield Academic Press.
- Peckham, B.
1987 Phoenicia and the Religion of Israel: The Epigraphic Evidence. Pp. 79-99 in *Ancient Israelite Religion: Essays in Honor of Frank Moore Cross*, eds. P. D. Miller et al. Philadelphia: Fortress.
- Pitard, W. T.
1988 The Identity of the Bir Hadad of the Melqart Stele. *Bulletin of the American Schools of Oriental Research* 272: 3-21.
- Pope, M. H., and Röllig, W.
1983 Syrien: Die Mythologie der Ugariter und Phönizier. Pp. 217-312 in *Wörterbuch der Mythologie I*, 2nd ed., ed. H. W. Haussig. Stuttgart: Klett.
- Pritchard, J.
1978 *Recovering Sarepta A Phoenician City*. Princeton, NJ: Princeton University.
1982 The Tanit Inscription from Sarepta. Pp. 83-92 in *Phönizier im Westen*. Madrider Beiträge 8, ed. H. Niemeyer. Mainz: Zabern.

- Reiner, E.
1969 Treaty of Esarhaddon with Baal of Tyre. Pp. 533-34 in *Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament*, 3rd ed., ed. J. B. Pritchard. Princeton: Princeton University.
- Ribichini, S.
1988 Beliefs and Religious Life. Pp. 104-25 in *The Phoenicians*, ed. S. Moscati. Milan: Bompiani.
- Smith, M.
1975 On Burning Babies. *Journal of the American Oriental Society* 95: 477-79.
- Stager, L. E., and Wolff, S. R.
1984 Child Sacrifice at Carthage: Religious Rite or Population Control? *Biblical Archaeology Review* 10: 30-51.
- Teixidor, J.
1986 *Bulletin d'Épigraphie sémitique (1964-1980)*. Bibliothèque archéologique et historique 127. Paris: Guethner.
- de Vaux, R.
1967 Les prophètes de Baal sur le Mont Carmel. Pp. 484-97 in *Bible et Orient*. Paris: Cerf. Reprinted from *Bulletin du Musée de Beyrouth* 5 (1941): 7-20.

